الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إعداد / أ. د. طه عابدين طه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

قد جرت سنة الله عز وجل في إرسال رسله لهداية الخلق إلى الحق أن يؤيدهم بمعجزات تخالف سنن الكون ، خاصة فيما استحكم في زمانهم ، وعظم في نفوس عامتهم لتكون آية على صدق النبي وحجة على المعاندين المنكرين ، ولقد كانت معجزة كل رسول من مثل ما برع فيه قومه ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (مَا مِن نبيّ من الأنبياء إلا أُعْطِيَ من الآياتِ ما مثلُهُ آمَنَ عليه البشر، وَإِنَّمَا كانَ الذي أُوتيتُهُ وَحْيا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ ، فأرجو أن أَكونَ أَكثرَهُم تابعا يومَ القيامةِ) البخاري ومسلم ، ولكن قد كانت تلك المعجزات حسية ولوقت معين .

ولما كان النبيﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكانت رسالته خالدة جعل الله له معجزات حسية ومعنوية ؛ ولكن كانت معجزته الكبرى معجزة معنوية خالدة ، معجزة للعقول في كل عصر ومصر ، وقد تمثلت في هذا الكتاب المجيد ، ليكون حجة دائمة على العالمين عن صدق الرسالة المحمدية ، مناسب لما كان عليه قومه من الفصاحة والبيان ، ومتناسب للأجيال المتعاقبة مع تطورات العقول واختلافات الإمكانيات لتقوم الحجة على الخلق كآفة كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(فصلت:٥٣) . قال ابن حجر : "ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه "[١] ،فهو يجمع بين أنه كتاب هداية من جهة ومعجزة الرسالة من جهة أخرى ، قال تعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ ﴾ (الأنعام: ١٥٧) .

(١) فتح الباري (٧/٩).

فلما تطور العلم في زماننا هذا وأظهر حقائق لم تكون معلومة في وقت التنزيل ظهر للناس اليوم وجه آخر من أوجه إعجاز هذا الكتاب المجيد ألا وهو الإعجاز العلمي ، الذي كان يعد في السابق من باب الإخبار بالغيب .

فالقرآن الكريم قد جاء بحقائق علمية كشف عن بعضها العلم الحديث بعد تطور وسائل المعرفة في علم الأجنة والأطعمة والدواء ، وبعضها لا يزال في طي الكتمان لم يكتشف خاصة في مجال الفلك والبحر والرياح والأمطار وغيرها ، وكل ذلك مما أورده الله في كتابه ليتبين للبشر جميعاً أنه من عند الله .

أولاً : تعريف الإعجاز العلمي :

" سبق إخبار القرآن الكريم أو السنة المطهرة بحقيقة أكدها العلم التجريبي الحديث ، مع عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ "(١) .

ثانياً : ضوابط الإعجاز العلمي :

حتى ينضبط الإعجاز العلمي ، ويوظف ما توصل إليه البشر في خدمة بيان الحق ، لا بد من توفر الضوابط التالية :

١. الدلالة الواضحة على الحقيقة العلمية من نصوص القرآن الكريم ، وبما صحَّ من سنة النبي ﷺ المطهرة بدون تكلف في الاستدلال .
٢. ثبوت تلك الحقيقة العلمية من قبل العلماء المختصين في مجالها وإثباتها بشكل مستقر لا يقبل التراجع عنه .
٣. ثبوت استحالة معرفة البشر لتلك الحقيقة العلمية وقت نزول القرآن الكريم .
٤. تحقيق المطابقة بين دلالة النص من الكتاب والسنة وبين تلك الحقيقة العلمية .

علماً بأن نصوص الكتاب والسنة لا تتعارض مع حقائق العلم اليقينية لأن كل من عند الله،ولو وجد بينهما تعارض ظاهراً،فالخطأ يكون في معرفة التوفيق

(١) ينظر : المعجزة الخالدة (ص : ٣٣٤) .

بينهما[1].

ثالثاً : الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي :

الإعجاز العلمي هو : " الكشف عن معاني الآيات والأحاديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية " [2].

فمن خلال التعريفين يظهر لك الفرق واضح ، وحتى يميز بينهما ولا يحصل خلط وضع العلماء فروقاً من أبرزها ما يلي :

١. إن الإعجاز العلمي هو إخبار العلم بحقيقة ثابتة في القرآن الكريم قبل وجود الآلة العلمية لتلك الحقيقة ، بينما التفسير العلمي فهو يكشف في معاني القرآن عن صحة ما ترجح من نظريات علمية ، قد يوافقها أو لا يوافقها .
٢. إن الإعجاز العلمي نشأ مع نزول القرآن الكريم حيث شمل الحديث عن خلق السموات والأرض والجبال والبحار والرياح والإنسان وغيرها فجاء العلم بإثباتها ولم يستطيع أن يكذب جزيئية من تلك الحقائق ، والتفسير العلمي نشأ متأخراً بعد تطور العلوم التجريبية ، فأصبح العلماء يجتهدون في استخراج ما يؤيد العلوم والنظريات من الكتاب والسنة .
٣. إن الإعجاز العلمي يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والعلمية، بينما التفسير العلمي يتلمس تلك الحقائق للوصول إليها .
٤. الإعجاز العلمي حقائق يتحدى بها ، والتفسير العلمي محل للأخذ والرد .
٥. نسبة الخطأ في الإعجاز العلمي معدومة . وإن وقع خطأ بسبب الخلل في الربط بين الحقيقتين الشرعية والعلمية . بينما نسبة الخطأ في التفسير العلمي كبيرة .
٦. إن الإعجاز العلمي أمر متفق عليه ، بينما التفسير العلمي أمر مختلف فيه .

---

(١) ينظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، للدكتور عبد الله المصلح (ص :٣١) ، والإعجاز العلمي ضوابط وحدود للدكتور فهد اليحيى .

(٢) الإعجاز العلمي ، عبد الله المصلح ص٣٠ . فالمفسر يحاول فهم دلالات القرآن الكريم وفق ما أثبته العلم الحديث.

رابعاً : فوائد دراسة الإعجاز العلمي :

هنالك فوائد عديدة من دراسة الإعجاز العلمي من ذلك :

١. زيادة الثقة واليقين بهذا الكتاب المجيد ، بما يوثق صلة المؤمن بكتاب الله العزيز خاصة عندما يرى المسلم آية من آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس مصدقة لما جاء في القرآن يزداد يقيناً وحباً وإقبالاً على كتاب الله .

٢. أبراز آية صدق القرآن الكريم لمن لا يؤمن به ، على أنه من عند الله تعالى بما يدعوهم للإيمان به .

٣. إظهار أن أوجه إعجاز القرآن الكريم ليس مرتبط بوقت الدعوة الإسلامية الأول ، بل له أوجه كثيرة تتناسب مع أجيال الأمة في مختلف عصورها .

٤. زيادة معرفة للمسلم بالكون والحياة بما يدفعه للبحث والاكتشاف ويطلق قدراته العقلية للإبداع ؛ وذلك من خلال بيان معاني القرآن وهدايته في ضوء العلوم المختلفة .

٥. باب مهم من أبواب الدعوة إلى الله بما يتناسب مع متطلبات العصر .

٦. تجديد معاني القرآن في النفوس ، وحفز الهمم لتعلمه والإقبال عليه .

٧. إظهار سعة ما حواه القرآن من علوم وحقائق وهداية لا تسغنى عنها البشرية في كل مراحلها وعصورها .

خامساً : نماذج من الإعجاز العلمي :

النماذج للإعجاز العلمي في القرآن والسنة كثيرة ، وكل يوم يكتشف العلماء والباحثون من الحقائق ما هو متوافق مع القرآن الكريم من ذلك :

النموذج الأول : خلق الإنسان :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢ — ١٤) .

النموذج الثاني : الشفاء بعسل النحل :

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٦٨ — ٦٩) .

جاء العلم اليوم ليثبت فوائد طبية لا حدود لها منها أنه قاتل للجراثيم فلا يعيش فيه جرثومة واحدة ، وأنه علاج لكثير من الأمراض كفقر الدم ، وأمراض الرئة ، والجهاز التنفسي ، وأمراض العين ، والأمراض الجلدية وغيرها .

النموذج الثالث : البرزخ بين البحار والأنهار :

قال تعالى:﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(الرحمن: ١٩ — ٢١) .

سادساً : مؤلفات في الإعجاز العلمي :

المؤلفات في الإعجاز العلمي كثيرة من ذلك :

١. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للشيخ عبد المجيد الزنداني ، ود. سعاد يلدرم ، والشيخ محمد أمين ولد محمد ، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة العالم الإسلامي .
٢. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه ،عبد الله المصلح،ود . عبد الجواد الصاوي "بحث " .
٣. مباحث في إعجاز القرآن ، د . مصطفى مسلم " بحث " .
٤. الإعجاز العلمي ضوابط وحدود ، د . فهد اليحيى ، " بحث " .
٥. الإعجاز العلمي تفنيد حجج المعرضين ، غازي التوبة ، " بحث " .
٦. الإعجاز العلمي بين القبول والرد ، عبد السلام حمدان اللوح ، " بحث " .
٧. عناية المسلمين بإبراز الإعجاز العلمي في القرآن، حسن عبد الفتاح أحمد ، " بحث ".

٨. الإسلام في عصر العلم ، الدكتور / محمد أحمد الغمراوي .
٩. الفرقان في بيان إعجاز القرآن ، عبد الكريم بن صالح الحميد .